

هل أنت مستعد لمصان؟

يوسف سيف

مصان

للمصان

هل أنت مستعد لمرضان؟

يوسف سيف

٢٠٢٦-١٤٤٧

جميع الحقوق محفوظة



العنوان: هل أنت مستعد لرمضان؟

الجزء: الأول.

تأليف: يوسف سيف.

إخراج فني وإلكتروني: أبو إسلام للطباعة والإعلان.

الطبعة: الأولى، ١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م.

© ٢٠٢٦ [يوسف عبده ناجي سيف].

جميع الحقوق محفوظة

يُسمح بنسخ وتوزيع هذا الكتاب إلكترونياً ومشاركته مجاناً كما هو دون تعديل، وذلك لأغراض التعليمية وغير التجارية للمعلمين والمتعلمين.

لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تعديله أو استخدامه لأغراض تجارية أو بيعه أو تأجيره بأي شكل أو وسيلة، إلا بإذن خطي مسبق من المؤلف. لطلبات الأذونات الخاصة أو الاستخدام التجاري، يرجى التواصل عبر:

البريد الإلكتروني: yusufseef6@gmail.com

الجوال: +967 771 944 578



لماذا وكيف كُتِبَ هذا الكتابُ؟

لِقَلْبِكَ السَّلَامُ..

قبل أن تخطو أول خطوةٍ في هذه الصفحات، قد تسألني أثناء قراءتك للصفحات التالية: "لماذا لم تكتب لي خُطَّةً مرقّمةً، وجداول صارمةً، وفصولاً أكاديميةً، كما جرت العادة في كتب الإدارة والاستعداد؟" **والجوابُ يا رفيقَ الدرب..** هو أنني أدركتُ بعد طول مسير، أن النفس البشرية قد تملُّ "الأوامر"، لكنها لا تملُّ "الوصال". أدركتُ أننا في طريقنا إلى الله، وفي موسمِ رقيقِ كرمضان، لا نحتاج إلى "دليلٍ جاف" يخاطب عقولنا بلغة الأرقام والواجبات فحسب، بل نحتاجُ إلى "تجربةٍ شعورية" تخاطب أرواحنا بلغة الحب والمواساة.

لذلك.. اخترتُ ألا أكون في هذا الكتاب "مُعَلِّماً" أو "شيخاً" يلقي عليك الدروس من فوق منبر، بل "رفيقاً" يمشي بجوارك، كتفاً بكتف. واخترتُ ألا يكون الكتاب "فصولاً" جامدة، بل جعلته "رسائل" و"جلسات"؛ لأن أدب الرسائل هو أقرب الطرق بين قلبين، وهو الأسلوب الذي يُشعر القارئ أن الكاتب لم يكتب "للجمهور"، بل يكتب "له وحده".^(١)

(١) "أدب الرسائل" أو "المخاطبة المباشرة": هو أسلوب أدبي جذاب قلَّ حَمَّاله والمتصدِّون له، وكثُرَ عشاقه والمتأثرون به، وهو على غرار أسلوب علي الطنطاوي في "حديث النفس" وأدهم شرقاوي في "يا صاحبي"، وغيرهما كالرافعي مصطفى وغسان كنفاني وجبران خليل جبران.

في هذا الكتاب، حاكيتُ لغة الأرواح التي سار عليها الكبار، ممن جعلوا الكتابة "حديث نفس" و"مخاطبة خلان"، لتجد فيه صدىً لما في صدرك، ويدا حانيةً تربتُ على كتفك كلما فترت همتك.

هنا.. لن تجد "نظريات" معقدة، بل ستجد "مشاعر" صادقة. لن تجد "لوائح" عقابية، بل ستجد "نصائح" محب. لقد أذبتُ لك "إدارة الوقت" و"فقه النفس" في كأسٍ من "أدب الرسائل"، ليكون الدواء حلواً، والمسيرُ عذباً.

فلا تقرأ هذا الكتاب بعينِ "الباحث" عن المعلومة فقط.. بل اقرأه بقلبِ "المسافر" الذي وجد أخيراً رفيقاً يؤنس وحشة الطريق، ويقول له في كل منعطف: "هات يدك.. لنعبر معاً".

مُحبك

يوسف سيف

٣/ شعبان / ١٤٤٧هـ

المقدمة: حقائقُ المسافرين

لِقَلْبِكَ السَّلَامِ..

أعرفُ أنك تقرأ هذه السطور الآن، ويدك على قلبك.. تخشى أن يكون هذا الكتاب مجرد قائمة جديدة من "المثاليات" التي ستتحمس لها يوماً، ثم تتركها عند أول تعثر في اليوم الثالث من رمضان. أعرف هذا الشعور جيداً، فقد ذقته قبلك مراراً. ذلك الشعور المرير حين يرحل رمضان، ونقف نحن على الرصيف نلوح له بأيدي فارغة، ونهمس بأسى: "اليتني استعددتُ جيداً".

يا رفيقَ الدَّربِ.. نحن الآن في "شعبان".. أتدري ما معنى ذلك؟ معناه أن القافلة لم تتحرك بعد، وأن الفرصة سانحة لنصلح "الراحلة" قبل أن يُعلن النفير. في السنوات الماضية، كنا نظلم أنفسنا؛ ندخل رمضان بقلوب منهكة، وعادات مبعثرة، ونوم مضطرب، ثم نطلب من أرواحنا أن تحلق في السماء! وكيف لطائرٍ مكسور الجناح أن يطير؟ هذا العام، الأمر مختلف. أنا لا أعدك بسحر يقلب حياتك في لحظة، ولا أملك عصا موسى.. لكني أملك قلباً محبباً يمد يده إليك. لن نتحدث في أوراقنا هذه عن "الخوارق"، بل سنتحدث عن "الخطوات". لن أطلب منك أن تكون "ملكاً" منزهاً عن الضعف، بل سأدلك كيف تكون "بشراً" مجاهداً؛ يعرف كيف ينام ليعبد، وكيف يأكل ليقوم، وكيف يغلق هاتفه ليفتح قلبه، وكيف يجمع بين خدمة أهله ومناجاة ربه.

يا شريك الخطوة.. هل تذكر تلك المهمة العالية التي اشتعلت في صدرك وأنت تسمع عن "الهجرة إلى رمضان"؟ تلك "الوجهة" الروحية العظيمة تحتاج إلى "أقدام" ثابتة تمشي على الأرض. هذا الكتاب هو "أقدامك". سنتعلم فيه كيف "نرتب" يومنا، وكيف نروض مشتتاتنا، وكيف نجعل من بيوتنا محاريب صغيرة، لا فنادق للنوم والأكل. ضع يدك في يدي.. ولا تفلتها. الطريق طويل، وفيه عقبات، وفيه قطاع طرق من شياطين الإنس والجن، لكنه بصحبتك يهون. ورمضان هذا العام - بإذن الله - لن يكون كالذي قبله.. لأننا هذه المرة.. لن نترك شيئاً للصدفة، ولن ندخل المعركة بلا سلاح.

هل أنت مستعد لنحزم الحقائق؟

لروحك الطمأنينة..

الرسالة الأولى: هداةُ الجسد.. وحقُّ الراحلة

لِقَلْبِكَ السَّلَام..

أتظني سأبدأ حديثي معك عن "النوم" و"الطعام" ونحن نطلب اليقظة والروحانية؟ قد تتعجب وتقول: "يا هذا، جئتُك لأسمو بروحي، فتحدثني عن طين جسدي؟!". مهلاً على قلبك.. حاشا لله أن أدعوك للركون إلى الأرض، ولكنه "الرفق" الذي ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.

يا رفيقَ الدَّرب.. تأمل معي حال المسافر قديماً في الصحراء.. هل رأيتَ عاقلاً يقطع الفيافي فيواصل الليل بالنهار، ويحرم دابته العلف والراحة، طمعاً في الوصول السريع؟ لو فعل ذلك، لسقطت راحلته في منتصف الطريق، ولبقي هو في العراء، مقطوعاً به، لا ظهراً أبقي، ولا أرضاً قطع! وجسدك هذا يا صاحبي.. هو "راحلتك" إلى الله في رحلة رمضان. هو المركب الذي سيحمل قلبك في وقوف التراويح، وفي ظمأ الهواجر، وفي مكابدة القيام. فإذا أرهقت المركب بالسهر الطويل العثي الآن في شعبان، تعثر الركبُ في أول ليالي رمضان، ووقف القلبُ عاجزاً عن الخشوع، يغالبه النعاس، ويثقله التعب، وتتناهشه الأسقام.

يا شريكَ الخُطوة.. إن الله -جل جلاله- غني عن تعذيبنا لأنفسنا. هو لا يريد منا أجساداً متهاكئة، وعيوناً غائرة من السهر، بل يريد "قلوباً حاضرة"، و"أرواحاً صافية". والقلبُ -كما تعلم- لا يحضر إذا غاب

العقل من الإعياء، والروح لا تصفو إذا كدرتها تخمة الطعام أو ثقل
النعاس. تعال نتفق على "أدبٍ جديد" مع أجسادنا في هذه الأيام
المتبقية، لندخل على الضيف الكريم ونحن في كامل عنفواننا:

أولاً: أكرم راحلتك لتعبر بك: النوم في وقته "تقوّ"، وفي غير وقته
"غفلة". مشكلتنا في الأعوام السابقة أننا كنا ندخل رمضان بـ "ساعة
بيولوجية" مقلوبة؛ ليلنا نهار، ونهارنا ليل. ابدأ من الليلة -نعم من هذه
الليلة- بتبكير موعد نومك ولو قليلاً. عوّد جسدك أن الليل "سكن"،
لتستقبل نهار رمضان بنشاط، وتستقبل ليله بصفاء. اجعل نيتك في
وضع رأسك على الوسادة: "يا رب، أرقدتُ جسدي ليقوى على
طاعتك غداً".. فتتحول أنفاسك وأنت نائم إلى تسبيح!

ثانياً: غفوة المتعبّد: لا تحرم نفسك من "إغفاءة" قصيرة في نهارك
(القيلولة). سمّها ما شئت، لكن اعلم أنها "الوقود الخفي" الذي كان
الصالحون يستعينون به على مناجاة السحر. هي ليست كسلاً، بل هي
"استراحة محارب" يستجمع فيها قواه لجولة الليل الحاسمة.

يا أنيسَ الروح.. بقي أمرٌ أخير.. "الخفة". كلما تخففت من
الطعام، حلقت الروح. المعدة الممتلئة تسحب الدم من الدماغ، وتورث
الكسل، وتجعل الوقوف بين يدي الله ثقيلًا كالجبل. جرّب في هذه الأيام
أن تقوم من طعامك وبك بقية من جوع.. ستجد خفةً في جسدك



تجعلك تساق إلى السجادة سوقاً، وستجد صفاءً في ذهنك يجعلك
تذوق حلاوة الآيات.

يا جليسَ الخير.. أرح جسدك الآن، ورمم ما أفسده السهر الطويل،
لتدخل على "الضيف الكريم" بوجهٍ مشرق، وعينٍ يقظة، ونفسٍ تواقّة
للوقوف بين يدي مولاها. ثمّ قرير العين الليلة.. فالطريق أمامنا يزينه
الأمل، والزادُ يكفي من صدق.
لجسدك القوة والعافية..



الرسالة الثانية: ضجيج في خلوة المحبين

لِقَلْبِكَ السَّلَامِ..

أتذكرُ حين كنا صغاراً، كيف كان للعالمِ حدودٌ تنتهي عند عتبةِ بابنا؟ إذا أغلقنا البابَ، صمتَ العالمُ في الخارجِ، وهدأت الأصواتُ، وخلونا بأنفسنا وأهلنا، لا يقتحمُ علينا خلوتنا أحد. اليومَ يا أخي في الهم، سقطت الأبوابُ.. وصار العالمُ كله، بضجيجهِ وأسواقهِ وخصوماتهِ، ينامُ معنا في الغرفةِ نفسها، ويستيقظُ قبلنا في أكفنا!

يا شريكَ الخطوةِ.. أسألكَ بالله، واستفتِ قلبك.. تخيل لو أنك في مجلسِ مَلِكٍ عظيمٍ، وقد أذن لكَ بالقربِ والمناجاةِ، واختارك من بين الآلاف ليسمعَ صوتك.. هل كنتَ ستجرؤُ أن تلتفتَ عنه لتسمعَ طرفةً من مازٍ بالطريق؟ أو لتشاهدَ عراكاً بين غريبين في السوق؟ حاشا لأدبك أن يفعل.. وحاشا لقلبك أن يرضى. ولكننا - يا غفرَ الله لنا - نفعلها ونحنُ بين يدي ملكِ الملوك!

نحملُ هذا "الجهاز" الذي هو نافذةٌ مشرعةٌ على الغرباء، فندخلهم معنا إلى محرابنا. نقرأ القرآن، والعينُ تسرقُ نظرةً إلى شاشةٍ تضيءُ بخبرِ تافه. نرفعُ اليدَ للدعاء، والقلبُ معلقٌ برسالةٍ قد تأتي أو لا تأتي. الخلوةُ يا صاحبي عزيزة.. والقلبُ وعاءٌ رقيقٌ، إذا امتلأ بضجيجِ الناسِ، فأين يجدُ مكاناً لكلامِ الله؟

يا حبيبي في الله .. رمضان "دورة مكثفة" في الفرار إلى الله، والفرار
يقتضي تخفيف الأحمال . وهذا الذي في يدك "حمل" ثقيل وإن خف
وزنه، و"قيد" غليظ وإن نعم ملمسه . لا أقول لك ارمه في بئر، ولا اعتزل
الناس كلياً .. فنحن أبناء وقتنا . ولكن .. "أغلق النافذة" قليلاً .

تعال نتعاهد في هذه الأيام المتبقية من شعبان على "ميثاق الخلوة":
اجعل لك وقتاً - ولو ساعة في النهار وساعة في الليل - تقول فيها لهذا
العالم الصاخب " :توقف .. أنا الآن في حضرة من هو أعلى منك".
اجعل "مصحفك" و"سجادتك" مناطق محرمة عليه . لا تدخله معك
المسجد، وإن أدخلته فأمت صوتته وحركته .

صدقني يا رفيق الدرب .. ستجد وحشة في البداية، لأنك اعتدت
الزحام .. ثم ستذوق "حلاوة" في قلبك، غابت عنك طويلاً .. حلاوة أن
تكون أنت والله .. وثالثكما السكون .

أغلق "باب الناس" لتقرع "باب رب الناس" .. فمن أغلق بابه عن
الخلق .. فتحت له أبواب السماء .

لقلبك السكينة والأنس ..

الرسالة الثالثة: غسيل القلب.. قبل ارتداء الحلة

لِقَلْبِكَ السَّلَامِ..

لو أتاك خبر الآن أن "ملكاً" عظيماً سيزورك في بيتك غداً، أو دعاك لمأدبة في قصره.. بالله عليك، كيف سيكون حالك؟ ألن تقلب البيت رأساً على عقب؟ تكنس الغبار، وتغسل الأواني، وتطيب الأركان، وتلبس أجمل ما عندك؟ أتقبل -وأنت الكريم- أن يراك الملك وثيابك ملطخة بالطين، أو بيتك تعلوه الفوضى؟

يا شريك الخطوة.. رمضان ليس مجرد شهر.. رمضان هو "مأدبة الملك". والملائكة فيه تنزل، والرحمات فيه توزع، والجوائز تُمنح.. فكيف ندخل عليه بقلوب ملطخة بأوحالٍ أحد عشر شهراً مضت؟ كيف نطلب من الله أن يصب "النور" في صدورنا، وصدورنا ممتلئة بـ "الظلام"؟ ذنوب الخلوات التي نسيناها (وأحصاها الله)، وشحناء القلوب، ونظرات الحرام، والكلمات الجارحة.. كلها "أوساخ" تجمعت على جدار القلب طبقة فوق طبقة، حتى كادت تطمس لونه، وتحجب عنه النور.

أعرف أنك تتألم منها، وتتمنى الخلاص.. وأعرف أن هذا الحمل الثقيل يجذب ظهرك ويبطئ سيرك. والخبر السعيد يا حبيبي: أن الماء طهور، وأن الباب مفتوح، وأن الملك "عفو" يحب العفو.

يا حبيبي في الله.. نحن الآن في "شعبان".. وهذا هو وقت "الاغتسال". لا تنتظر ليلة الأول من رمضان لتقول "ثبت".. ابدأ الآن.



التوبة ليست كلمةً تقال باللسان، بل هي "قرار" شجاع بخلع المعطف المتسخ.

- اجلس مع نفسك الليلة جلسة مصارحة: ما هو الذنب الذي يكسر ظهرك؟ ما هي العادة التي تحجبك عن الله؟
- ارفع يدك الآن - نعم الآن وأنت تقرأ- وقل بقلبك منكسر: "يا رب، جئتك ملطخاً بطين الطريق، فاغسلني.. جئتك مثقلاً، فخفف عني.. جئتك هارباً من ذنبي، فأوني".

والله الذي لا إله إلا هو.. ما إن يرى الله صدق انكسارك، حتى يبدل سيئاتك حسنات، ويحيل ظلام قلبك نوراً. ألق عن كاهلك هذا الحمل الثقيل.. فالقافلة لا تنتظر المثقلين، ونحن نريدك خفيفاً، طائراً، سابقاً.

تخفف يا حبيبي.. لتلحق.
لروحك الطهر والنقاء..



الرسالة الرابعة: رسائل المشفق عليك إليك

لِقَلْبِكَ السَّلَامِ..

أَسْأَلُكَ يَا حَبِيبِي سَوْألاً لَا تُجْبِنِي عَلَيْهِ، بَلْ أَجِبْ قَلْبَكَ: حِينَ تَفْتَحُ الْمَصْحَفَ فِي رَمَضَانَ، مَاذَا تَرَى؟ هَلْ تَرَى "حُرُوفاً" كَثِيرَةً تَرِيدُ أَنْ تَفْرَغَ مِنْهَا لِتَسْجَلَ فِي دَفْتَرِكَ "خَتْمَةً"؟ أَمْ تَرَى "رِسَائِلَ" خَاصَّةً، جَاءَتْ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، تَحْمِلُ اسْمَكَ وَعُنْوَانَكَ، لِتَخْبِرَكَ عَنِ اللَّهِ، وَعَنْ نَفْسِكَ، وَعَنْ الطَّرِيقِ؟

يَا رَفِيقَ الدَّرْبِ.. لَقَدْ ظَلَمْنَا الْقُرْآنَ حِينَ حَوْلْنَاهُ إِلَى "سِبَاقِ" مَسَافَاتٍ! نَلَهَتْ وَرَاءَ الصَّفْحَاتِ، وَعَيُونُنَا تَسْرِقُ النَّظَرَ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.. "مَتَى نَصِلُ؟ مَتَى نَخْتَمُ؟". أَتَدْرِي يَا شَرِيكَ الْخَطْوَةِ؟ اللَّهُ لَا يَرِيدُ مِنْكَ أَنْ "تَقْطَعَ" الْقُرْآنَ مَسَافَةً وَعَدَدًا، بَلْ يَرِيدُ لِلْقُرْآنِ أَنْ "يَقْطَعَ" مَا بَكَ مِنْ حَجَبٍ وَشَهْوَاتٍ. مَا الْفَائِدَةُ أَنْ يَمُرَّ لِسَانُكَ عَلَى حُرُوفِ الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَمُرَّ الْقُرْآنُ عَلَى بُؤْسِ قَلْبِكَ فِيحْيِيهِ؟ وَمَا نَفْعُ الْخَتْمَةِ إِذَا كُنْتَ تَخْرُجُ مِنَ النَّاسِ "كَمَا دَخَلْتَ فِي "الْفَاتِحَةِ"، لَمْ يَتَغَيَّرْ فِيكَ خَلْقٌ، وَلَمْ يَرَقَّ فِيكَ قَلْبٌ؟

يَا أُنَيْسَ الرُّوحِ.. فِي هَذَا الرَّمَضَانَ، أُرِيدُكَ أَنْ تَغَيِّرَ "النِّيَّةَ". "لَا أَقُولُ لَكَ لَا تَخْتَمِ.. بَلْ اخْتَمِ، وَأَكْثِرْ، فَالْحَرْفُ بَعِشْرَ حَسَنَاتٍ، وَنَحْنُ فَقَرَاءٌ إِلَى الْحَسَنَاتِ. وَلَكِنْ.. اجْعَلْ لَكَ "خَتْمَةً" أُخْرَى.. سَمِّهَا "خَتْمَةُ التَّغْيِيرِ". فِي هَذِهِ الْخَتْمَةِ، لَا يَهُمُّ "كَمْ قَرَأْتَ"، بَلْ يَهُمُّ "كَمْ فَهَمْتَ" وَ"كَمْ تَأَثَّرْتَ".

- إذا مررتَ بآية رحمة، توقف.. لا تتجاوزها حتى يسيل دمك طمعاً، أو يرفرف قلبك أملاً. وتخيل أن الله يكلمك أنت ويقول: "هذه رحمتي، فتعرض لها".
- وإذا مررتَ بآية عذاب، توقف.. واستعد بالله كأن النار تفتح وجهك، وقل "نجني يا رب".
- وإذا مررتَ بآية فيها أمرٌ (يا أيها الذين آمنوا..)، قف انتباهَ الجندي المطيع وقل: "لبيك ربي، ماذا تأمر؟".
- يا جليسَ الخير.. القرآن ليس "كتاباً" تقرأه وتضعه على الرف . القرآن "صاحب" .. والصاحب لا يعطيك أسراره إلا إذا جالستَه طويلاً، وأعطيته كلك، ولم تكن في حضرته عجبلاً. فلا تكن في صحبته ضعيفاً ثقيللاً يريد الانصراف . اقرأ قراءة "مودع" ينتظر رسالة نجات . ربما آية واحدة، تفتحها بقلبٍ منكسر في ليلة من ليالي رمضان.. تصنعُ فيك ما لم تصنعه آلاف الخطب والمواعظ، وتكون هي سبب نجاتك يوم القيامة. افتح مصحفك الآن .. ليس لتقرأ.. بل لتسمع الله يكلمك. لروحك النور والبشرى..

الرسالة الخامسة: نَهْمُ الْمُحِبِّينَ .. والجمعُ بين الحُسَيْنَيْنِ

لِقَلْبِكَ السَّلَامُ..

ربما ظننت - وأنا أحدثك سابقاً عن "الكيف" لا "الكم" - أنني أدعوك للركون إلى القليل، أو أنني أضع لك وسادةً لتغفو عليها بحجة "التركيز". "حاشا لله يا صاحبي.. وحاشا لقلبٍ عرف الله أن يرضى بالدون، أو يقنع بالقليل. فهل رأيتَ مُجَبَّاً يكتفي من محبوبه بكلمة؟ أو يرضى من لقاءه بلمحة ثم ينصرف؟ كلا والله.. إنما شأنُ المحبين "الاستكثار"، ودأبُ المشتاقين "طولُ الوقوف".

يا رفيقَ الدَّربِ.. إنما حذرتك من "الكثرة الجوفاء" التي بلا روح، لا من "الكثرة الحية" التي تعمر الأوقات. نريدك في هذا الرمضان "جامعاً للحسنين"، طائراً بجناحين: قدمٌ تنتصبُ طويلاً لا تمل التعب، وقلبٌ ينكسرُ ذلاً لا يمل الطلب.

انظر إلى حال نبيك وحبيبك ﷺ، وهو سيد الخاشعين وإمام العارفين.. كان يقوم الليل حتى تنفطر قدماه وتتشقق! لم يقل "ركعتان بقلب حاضر تكفي"، بل كان قلبه الحاضر هو الذي يدفع جسده ليقوم الليل كله، لا يشبع من مناجاة ربه. فإذا ذقت حلاوة المناجاة يا صاحبي، فلن تسألني: "كم ركعة سأصلي؟" بل ستسأل بذهول: "كيف ينتهي الليل بهذه السرعة؟!".

يا أنيسَ الروح .. لا تكن في رمضان كالتاجر البخيل الذي يحسب

على الله تسبيحاته وركعاته، ويقف عند "الحُد الأَدْنَى" للواجب . بل كن

كالعاشق المستهتر بوقته وجهده في سبيل رضا محبوبه.

• إذا فتح الله عليك في التراويح، ووجدت خفةً في جسدك، وانشراحاً في

صدرك، فلا تتوقف .. زد، وأطل، ونافس الملائكة في صفوفها.

• وإياك أن يخدعك الشيطان -أو نفسك الكسولة- فيقول لك: "نم مبكراً

لتخشع غداً"، فيحرمك شرف الوقوف. بل جاهد هذا الجسد، وعوده أن

"التعب في الله راحة"، وأن "السهر في المناجاة حياة".

يا جليسَ الخير .. السر ليس في "تقليل العمل" لنخشع، بل في

"جودة الوقود" لننطلق . اجعل وقودك "الافتقار" و"الانكسار" .. قف

أمامه وقوف الأسير الذي يرجو الفكك، والمذنب الذي يطلب البراءة .

وإذا اجتمع فيك "تعبُ الجسد" من طول القيام، و"انكسارُ القلب" من

هيبة المقام .. فقد فُتحت لك أبواب السماء، وولجت على الله من أوسع

أبوابه.

لا ترضَ بالقليل وأنت تطلبُ الفردوس .. فالسلعةُ غالية، والمهْرُ

يستحق بذل الروح والجسد معاً.

لِهَمَّتِكَ الْعُلُوُّ وَالصُّعُودُ ..

الرسالة السادسة: صيام الجوارح.. لا صيام الجائعين

لِقَلْبِكَ السَّلَامِ..

دعنا نكون صادقين يا أخ الهم .. أهون الصيام هو ترك الطعام والشراب . أن تمنع معدتك الرغيف، وشفيتك الماء، أمر يستطيعه الصغير والكبير، والبر والفاجر. ولكن "الصيام الحقيقي" الذي تعجز عنه الجبال، هو أن تمنع لسانك عن كلمة، وعينك عن نظرة، وقلبك عن غل.

يا رفيق الدرب .. كم هو مؤلم مشهد ذلك الصائم الذي جف ريقه من العطش، وخوت أمعاؤه من الجوع، ثم هو في نهار رمضان "يأكل" لحم أخيه غيبةً، و"يشرب" من أعراض الناس نائمةً! أيعقل أن تصوم عن "الحلال" (الطعام)، وتفطر على "الحرام" (الأذى)؟ أيعقل أن يرى الله أثر الجوع في جسدك، ويرى أثر "الوحشية" في خلقك؟ يقول الحبيب ﷺ: ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)). يا لها من كلمة تخلع القلوب.. "ليس لله حاجة"! أي أن جوعك وعطشك يصبح "صفرًا" لا قيمة له في السماء، إذا لم يرافقه أدب في الأرض.

يا حبيبي في الله .. رمضان مدرسة لتهديب "الأنا". إذا لم يغير الصيام حدة طبعك، ولم يكبح جماح غضبك، ولم يغسل سواد الضغينة من صدرك.. فراجع صيامك، فإنك لم تصم بعد، إنما "جعت" فقط. نريد هذا العام صياماً شاملاً:

- **صيام اللسان:** عاهده ألا ينطق إلا بذكر أو خير. إذا هاجت عليك رغبة الثرثرة في أعراض الناس، تذكر أنك صائم، والصائم في "إحرام" مقدس لا يفسده باللغو.
 - **صيام العين:** لا تطلقها سارحة في الحرام، فالعين بريد القلب، ومن أطلق بصره أظلمت بصيرته.
 - **صيام القلب:** وهو الأعظم.. أن تصوم عن الحسد، والبغضاء، وكراهية الخير للناس.
- يا جليسَ الخير.. ليكن شعارك في كل موقف يستفزك: "إني صائم". ليست مجرد كلمة لدرء الشجار، بل هي تذكير لنفسك: "أنا في مقام رفيع، وفي عبادة جليلة، لا أسمح لجهل الجاهلين أن ينزلي منها". ارفع مستوى صيامك.. فربَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش.. وأعيذك بالله أن تكون منهم.
- لأخلاقك السموُّ والرفعة..

الرسالة السابعة: منائر البيت.. لا جدرانها

لِقَلْبِكَ السَّلَامِ..

أعلم أنك تتوق أحياناً - في زحمة الأيام - لزاوية هادئة في مسجد بعيد، أو خلوة في مكان قصي لا يصلك فيه صراخ صغار، ولا طلبات كبار، ولا ضجيج حياة. تظن - وكلنا يظن ذلك أحياناً - أن الله لا يعبد إلا في السكون التام، وأن هذه "الفوضى العائلية" تسرق منك روحانية الشهر، وتضطربك من علياء السماء إلى مشاكل الأرض.

يا شريك الخطوة.. مهلاً على قلبك.. وتذكر جيداً: إن الذي أمرك بالصيام والقيام، هو الذي وضعك في هذا البيت، وسط هؤلاء الأهل والعيال. هل تظنها صدفة؟ حاشاه سبحانه.. بل هو "ميدانك" الذي اختاره لك، واختبارك الذي لا ينجح فيه إلا الصادقون. عبادة "الخلوة" عظيمة ولذيذة، لكن عبادة "المخلطة" بالصبر والحب والحلم أعظم أجراً وأشق نفساً.

- أن تمسح على رأس طفلك وتلاعبه وأنت صائم، صدقة.
- أن تكف غضبك عن زوجك وأنت جائع، جهاد عظيم.
- أن تقومي على خدمة مائدة الإفطار لإطعامهم، وأنت تتضورين جوعاً، هو "السقيا" و"الإطعام" الذي قد يغفر الله لك به ما تقدم من ذنبك.

إياك ثم إياك أن تكون في رمضان ذلك "العابد المتأفف" الذي يرى أهله عوائق في طريقه إلى الجنة.. ضيق الصدر، عابس الوجه، يصرخ في

الجميع "دعوني أتعبد"! أي عبادةٍ هذه التي تقطع بها رحمك وتؤذي بها
أهلك؟ بل اجعلهم هم "طريقك" إلى الجنة!

يا جليسَ الخير.. بيتك هو "المحراب الكبير". في الأيام القادمة، لا

تبحث عن الهروب منهم، بل اهرب "بهم" إلى الله.

• بدل أن تغلق باب غرفتك لتقرأ القرآن وحدك، اجعلهم يتحلقون حولك

ولو لعشر دقائق، اقرأ لهم آية، أو قصّ عليهم قصة نبي.

• حول "صخب" البيت إلى "ورشة" حب: هذا يجهبز التمر، وذاك يفرش

السجادة، وتلك تبخر المكان.

البيتُ المضيء يا رفيقي ليس الذي لا يُسمع فيه صوت.. بل هو

الذي تضح فيه أصواتُ "الحياة" ممزوجةً بذكر الله. فيا لسعادةٍ من صام،

وقام، وأضحك أهله، وكان في بيته "نسمةً" باردة، لا "عاصفة" هوجاء.

افتح نوافذ بيتك للنور.. فأحبُّ البيوت إلى الله، بيتٌ يُذكر فيه

اسمه، وتتألف فيه قلوب عباده.

لبيتك السكينةُ والوئام..

الرسالة الثامنة: خطوة واحدة.. تكفي

لِقَلْبِكَ السَّلَامُ..

أعرفُ تلك "النار" المقدسة التي تشتعل في صدرك الآن ونحن نقرب من الشهر. تلك الرغبة العارمة في أن تعوض كل ما فاتك، فتقرر أن تختم القرآن عشر مرات، وأن تقوم الليل كله، وأن لا تفوتك تكبيرة إحرام.. هذا شعورٌ نبيل، ولكنه - يا صديقي - "فخ" نقع فيه كل عام. نبدأ كأننا خيولٌ عربيةٌ في سباق، نركض بأقصى سرعة في الأيام الأولى، ثم تتقطع أنفاسنا عند أول منعطف، فنجلس على قارعة الطريق نبكي عجزنا، ورمضان يمضي عنا.

يا رفيقَ الدَّربِ.. الطريقُ إلى الله لا يُقطع بـ "القفزات" المفاجئة، بل بـ "الخطوات" الثابتة. والله - جل جلاله - لا يُعاملنا بمنطق "الكميات" والأرقام القياسية، بل بمنطق "الإخبات" والمداومة. ألم تسمع حديث الحبيب ﷺ وهو يصف أحب الأعمال إلى الله؟ قال: ((أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ)). "وإن قلَّ".. ما أرحمها من كلمة! إنها طوق نجاة لضعفي وضعفك.

لماذا نحملُ أنفسنا ما لا نطيع؟ لماذا نريد أن نتحول من "غافلين" تماماً طوال العام إلى "أولياء كبار" في ليلة واحدة؟ هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

- يا شريك الخطوة.. في هذه الأيام، لا تضع جدولاً مزدحماً يخنقك، ولا تراكم الجبال على كاهلك الهزيل. يكفيك "عمل واحد" تعض عليه بالنواجذ، وتصطحبه معك إلى رمضان، ثم لا تتركه أبداً حتى تلقى الله.
- بدلاً من أن تنوي قراءة خمسة أجزاء ثم تتوقف في منتصف الشهر.. عاهد الله على "حزب" واحد لا يزعجك عنه إلا الموت، تقرؤه بتدبر وحب.
 - بدلاً من أن تنوي قيام الليل كله فتنام عن الفجر.. عود نفسك الآن على "ركعتين" خفيفتين قبل الفجر، تصليهما بقلب حاضر، خير لك من مائة ركعة بقلب ساه.

يا أنيس الروح.. سر إلى الله سير "الطفل المتعثر" الذي يمسك يد أبيه.. يخطو خطوة، ويقع، ثم يقوم.. هو لا يضره تعثره ما دام في الطريق، وما دامت وجهته "حزن أبيه". فما يضرك لو جئت الله بقلب "أعرج" ولكنه يحب السير إليه؟ ابدأ صغيراً.. تكبر في عين الله. وامش الهوينى.. تصل بسلام.

لسَعِيكَ القبولُ والبركة..

الرسالة التاسعة: الخلوۃ الكبرى.. حين يضيقُ العالم

لِقَلْبِكَ السَّلَامِ..

هل شعرت يوماً أن العالم كله، برحابة فضائه واتساع أرجائه، أضيقُ عليك من "خرم إبرة"؟ وهل شعرت في المقابل أن سجادة صلاة صغيرة، في زاوية مسجد هادئ، أوسعُ لك من الدنيا وما فيها؟ تلك هي "معجزة الخلوۃ" يا حبيبي.

يا رفيقَ الدَّربِ .. نحن نقرب من "العشر الأواخر" .. ذروة الموسم، وتاج الشهر . في هذه الليالي، كان حبيبك ﷺ "يشد المئزر"، ويعتزل الناس، ويحتبس في المسجد . لماذا؟ لأن "الجائزة" الكبرى (ليلة القدر) تنزل فيها، وهي ليلة "سلام" . "والسلام لا يلتقط في وسط الضجيج . القلب المزدهم بصور الدنيا، وأخبار السياسة، وأحاديث السمر، قلما يلمح نور تلك الليلة . أنت بحاجة إلى "انقطاع" لتحقيق لك "الوصلة" .

يا شريكَ الخُطوة .. أعرفُ أن ظروف الحياة قد تغيرت، وأن الوظائف والمسؤوليات قد تحول بينك وبين الاعتكاف الكامل في المسجد لعشرة أيام . ولكن .. لا يُعدم المحبُ حيلةً للوصول . إذا عجزت عن "اعتكاف الجسد" أياماً، فلا تعجز عن "اعتكاف الروح" ساعات .

الاعتكاف الجزئي : اسرق من وقتك كل ليلة ساعةً أو ساعتين، تذهب فيها إلى المسجد مبكراً قبل الصلاة، أو تمكث بعد الصلاة .

- في هذه الساعة، اعتبر نفسك "ميتاً" عن الدنيا.. هاتفك مغلق، وعقلك مفصول عن هموم الغد.
- قل لنفسك: "أنا الآن في ضيافة الله، ولن أخرج حتى يعتقني."
- يا أنيسَ الروح .. هذه الليالي القادمة هي "ليالي العمر". "فيها ليلةٌ تُكتب فيها الآجال والأرزاق، وتُفرق فيها الأقدار. فلا تكن فيها غافلاً، ولا تكن فيها في الأسواق تائهاً. ابنِ لنفسك "كهفاً" من نور، ولو في زاوية غرفتك. انفراد بربك انفراداً من لا يرى في الوجود سواه. فوالله.. ركعةٌ في جوف تلك الليالي، بقلبٍ منقطعٍ عن الخلق، قد ترفعك مقاماً لا تسقط بعده أبداً.
- هيا.. شدْ مئزرك. فالخيلُ الأصيلة لا تسبق إلا عند خط النهاية.
- لروحِكَ الصِّفاءُ والارتقاء..

الرسالة العاشرة: والآن.. سأترك يدك لتتطلق

لقلبك السلام..

ها قد وصلنا إلى آخر الصفحة.. انتهى الخبر يا أعز رفيق. طوال الصفحات الماضية، كنت ممسكاً بيدك، نصلح نيةً هنا، ونرمم عادةً هناك، ونمسح غباراً تراكم على القلب.. ولكن الآن.. يجب أن أترك يدك.

ليس تخلياً، معاذ الله.. ولكن لأن الطريق إلى الله لا يمشيه أحد عن أحد. أنا كنت دليلك في قراءة "الخريطة"، ولكن "المسير" مسيرك أنت، و"الجد" جدك أنت، والوقوف غداً بين يدي الله وقوفك أنت.

يا رفيق الدرب.. أعرف أنك تشعر برهبة البدايات. تخاف أن تخذل هذه العهود، وتخشى أن تكرر عثرات الأعوام السابقة، وتهمس لنفسك: "هل سأثبت؟". لكن، انظر في مرآة قلبك جيداً.. أنت اليوم لست أنت بالأمس. مجرد قراءة لك لهذا الكتاب، ومجرد قلقك الجميل، ومحاولتك لترتيب روحك.. دليل قاطع على أن في داخلك "بذرة خير" حية تنتظر الغيث. ورمضان هو الغيث.. فلا تمنع البذرة من الارتواء.

يا حبيبي في الله.. إذا هلّ الهلال، فلا تبحث عني في السطور.. ابحث عني في دعائك. ووصيتي الأخيرة لك: إذا تعثرت في منتصف الشهر - وكلنا يتعثر - فلا تيأس، ولا تدر ظهرك، ولا تقل "فسدت الخطة". بل انفض الغبار عن ركبتيك فوراً، وقل: "يا رب، عبدك

الضعيف عاد إليك"، وأكمل المسير.. فالله لا يبحث عن "ملائكة" لا يخطئون، بل يبحث عن "أوابين" كلما أخطأوا.. عادوا، وكلما فتروا.. نهضوا.

الآن.. السماء تترقب، والأبواب تُفتح، والملائكةُ تتهيأ، والجنة تزينت.. فأر الله من نفسك خيراً.
امضِ راشداً، مسدداً، محفوظاً.. فإنَّ عينَ الله ترعاك.
لخطواتك الأمان.. والوصول.

تم الكتاب بحمد الله

مبارك عليك هذا الإنجاز، ووصولك إلى هذه اللحظة؛ فهي بإذن الله دليل على محبة، فإن كانت محبة لكلماتي، فأرجو منك الدعاء، فحالي وحالك سواء. وإن كانت محبة لله خالصة، فخير ما يتهادى المتحابون في الله كلمات تُرسل في ظهر الغيب، لا إلى من أحبوا، بل إلى من أحببهم فيه.

قد لا أعرفك شخصياً، لكن الله يعرف كلينا، ولن يجرمني أن يجمعني بك في أشد وقتٍ أتمنى فيه اللقاء. نعم، هو ذلك اليوم الذي يغبطنا فيه الأنبياء والصديقون والشهداء، فقط لأنك أحببتني فيه. وأما عني فأسأل الله أن ينفع بك، وأن يجعل ما كتبتُه وقرأته في ميزان حسناتنا جميعاً، وأن يكون سبباً في تغيير رمضاننا ومن نحب. وإن كان لك ملاحظة، أو إهداء، أو اقتراح يُضاف أو يُعدل على هذا الكتيب، فهناك وسيلة التواصل:

Yusufseef6@gmail.com

أحبك في الله
المؤلف



المحتويات

- ١ لماذا وكيف كُتِبَ هذا الكتاب؟
- ٣ المقدمة: حقائق المسافرين
- ٥ الرسالة الأولى: هداة الجسد.. وحق الراحة
- ٨ الرسالة الثانية: ضجيج في خلوة المحبين
- ١٠ الرسالة الثالثة: غسيل القلب.. قبل ارتداء الحلة
- ١٢ الرسالة الرابعة: رسائل المشفق عليك إليك
- ١٤ الرسالة الخامسة: نهم المحبين.. والجمع بين الحسنين
- ١٦ الرسالة السادسة: صيام الجوارح.. لا صيام الجائعين
- ١٨ الرسالة السابعة: منائر البيت.. لا جدرانها
- ٢٠ الرسالة الثامنة: خطوة واحدة.. تكفي
- ٢٢ الرسالة التاسعة: الخلوة الكبرى.. حين يضيق العالم
- ٢٤ الرسالة العاشرة: والآن.. سأترك يدك لتنتقل
- ٢٦ الخاتمة

هل أنت مستعد لمرضان؟

- في هذا الكتاب هاكيتُ لفة الأرواح التي مار عليها الكبا ممن جعلوا الكتابة "حديث نفس" و"مخاطبة خلائ" لتجد فيه صدئ لما في صدرك، وبدأ هانية تربتُ على كتفك كلما فترت همتك.

- هنا.. لن تجد "نظريات" معقدة بل ستجد "مشاعر" صادقة. لن تجد "لوائح" عقابية، بل ستجد "نصائح" محب. لقد أذبتُ لك "إدارة الوقت" و"فقه النفس" في كأسٍ من "أرب الرمايل" ليكون الدواء حلواً والمسيرُ عذباً.

- فلا تقرأ هذا الكتاب بعين "الباحث" عن المعلومة فقط.. بل اقرأه بقلب "المسافر" الذي وجد أخيراً رفيقاً يؤنس وعشة الطريف، ويقول له في كل منطف: "هات يدك.. لنعب معاً".

المؤلف

